فلا تجزع فقد لاقيت حرّاً
يحاذر أن يعاب فمتّ حرّا

وهذا يجعل الموت في المنازلة موت شرف وحرية، ومن يمت منازلاً فقد مات حرّاً. وفي مقابل ذلك يكون من عاش بعد منازلة فقد عاش ذليلاً. وهذا هو ما حدث لبشر على يد الأمرد ابن المرأة الجميلة. لقد أراد لبشر أن يبقى وأن يظل ذليلاً مكسوراً وهل تلد الحيّة إلاّ الحية..!؟

5-3 المرأة النصوصية:

ينطوي النص على بطولة مضمرة، تتخفى وراء سطوره في حين تظهر بطولات سطحية. وسطح النص دائماً ذكورياً يحكمه ويتحكم فيه الرجل من بشر إلى عمه إلى ابنه الأمرد. وتحت ذلك تتستّر المرأة الجميلة. ويظهر العم وكأنه هو الذي رمى بشراً في طريق الأسد كي يموت، ولكن تضمينات النص تخفي فاعلاً آخر هو هذه المرأة الجميلة التي دلت بشراً على طريق ابنة عمه فاطمة، وهي طريق موت وهلاك، وهذه حيلة احتالتها المرأة لكي تقتل هذا الصعلوك الفتاك الذي أهلك جماعتها وسباها، وكانت تخطط للثأر منه.

ولما اكتشفت أنه لم يمت أرسلت إليه الأمرد ليكون له يوماً أسود وموتاً أحمر وليذيقه الهوان على يد الحيّة سليل الحيّة وليمنعه من أعزّ ما يمكن أن يمتلك يمنعه من الحصان والحصان (بكسر الحاء أولاً ثم بفتحها). وجاء هذا الصعلوك وكأنه فارس بلا فرس ففقد فروسيته بذلك. وجاء رجلاً بلا خليلة ففقد ذكورته بذلك، وانتهت الفحولة بالخصي.